Gleams of Islamic Civilization
Vol.2, No.1, July 2025, 137-176

Elements of Knowing Followers and Supporters and Ways to Cement Them in the Minds of Society's Members With a Focus on the Words of Imam Ali (AS)

Mohammad Hossein Kazemi[1]

(Received: 2024 July 17 ; Accepted: 2025 April 27)

Abstract

Imam al-Ḥusayn's mourning rituals play a significant role in Given the importance of understanding the issue of recognizing followers and supporters in confronting enemies, and Imam Ali's significant attention to organizing his followers and supporters before his enemies during his rule, this modest research paper, using a descriptive- analytical method and relying on bibliographic sources, seeks to shed light on the elements of recognizing followers and supporters in the words of Imam Ali (AS), and to address the methods and solutions the Imam resorted to in order to entrench these elements in the minds of the people of that society. It also aims to answer two main questions: What are the elements of recognizing followers and supporters in the words of Imam Ali (AS)? And what methods and solutions did Imam Ali (AS) use to instill these elements in the souls of his society's members? The results showed that Imam Ali (AS) relied on five elements in this regard, represented by: acceptance of the Imam's authority, commitment to religion, possessing strength in confronting the enemy, good conduct, and the possession of commendable virtues and good qualities. It was also found that Imam Ali (AS) employed a variety of methods and solutions to cement these elements in people's minds and elevate their understanding. These methods are: directing minds to an accepted reference, attending to the elite as a reference group, drawing attention to Islamic value concepts and concepts opposed to Islamic values, welcoming and venerating individuals endowed with good qualities, emulating and taking inspiration from the martyrs, and clarifying commendable traits and good characteristics within governmental orders and recommendations.

Keywords: Imam Ali (AS), followers and supporters, the friend, the enemy

1. Ph.D. Holder, Researcher at Ma'rifat Institute. Email: kmohamadhosein@gmail.com

أضواء الحضارة الإسلامية
المجلد الثاني، العدد الأول، ربيع و صيف ١٤٠٤هـ.ش / ٢٠٢٥م، ص ١٣٨ - ١٧٦

مقومات معرفة الأتباع والأنصار وطرق ترسيخها في أذهان أبناء المجتمع
تركيزا على كلام الإمام علي (عليه السلام)

محمد حسين كاظمي[١]

[تاريخ الوصول: ١٤٠٣/٠٤/٢٧هـ.ش؛ تاريخ القبول: ١٤٠٤/٠٢/٠٧هـ.ش]

الملخص

نظرا إلى أهمية فهم مسألة معرفة الأتباع والأنصار في مواجهة الأعداء، وإيلاء الإمام علي (عليه السلام)، اهتماما بليغا لتنظيم أتباعه وأنصاره أمام أعدائه في فترة حكمه، فتتوخى هذه الورقة البحثية المتواضعة، متبعة المنهج الوصفي-التحليلي، وبالاعتماد على المصادر البيليوغرافية، أن تلقي الضوء على معرفة مقوّمات الأتباع والأنصار في كلام الإمام علي (عليه السلام)، وأن تتصدى للطرق والحلول التي لجأ إليها الإمام لترسيخ هذه المقومات في أذهان أبناء المجتمع آنذاك، وكذلك تسعى إلى الإجابة عن سؤالين رئيسين، هما: ما مقومات معرفة الأتباع والأنصار في كلام الإمام علي (عليه السلام)؟ وما الطرق والحلول التي لجأ إليها الإمام علي (عليه السلام)، من أجل غرس هذه المقومات في نفوس أبناء مجتمعه؟ أظهرت النتائج أن الإمام علي (عليه السلام)، استعان بخمسة مقومات في هذا المضمار، تتمثل في: قبول ولاية الإمام، والالتزام بالدين، وامتلاك القوة في مواجهة العدو، وحسن السلوك، والتحلي بالخصال الحميدة والصفات الحسنة. وتبين أيضا أن الإمام علي (عليه السلام)، لجأ إلى الطرق والحلول المتنوعة، بغية ترسيخ هذه المقومات في أذهان الناس والارتقاء بفهمهم، فهي تتمثل في: إرجاع الأذهان إلى مرجع مقبول، والاهتمام بالنخبة بوصفهم مجموعة مرجعية، والالتفات إلى المفاهيم القيمية الإسلامية والمفاهيم المضادة للقيم الإسلامية، والترحيب بالأفراد المتزودين بالصفات الحميدة وتبجيلهم، والاقتداء بالشهداء والتأسي بهم، وتبيين الميزات الحسنة والخصائص الطيبة ضمن الأوامر والتوصيات الحكومية.

الكلمات المفتاحية: الإمام علي (عليه السلام)، الأتباع والأنصار، الصديق، العدو

---

١. حاصل على الدكتوراه وباحث في منظمة شناخت Email: kmohamadhosein@ymail.com

١. المقدمة

مما لا يساورنا شك، أن الإمام علي (عليه السلام)، واجه أعداء متنوعة ومختلفة في فترة حكمه، حيث بذل قصارى جهوده الحثيثة لتنظيم أتباعه وأعوانه أمام أعدائه الألداء. تأسيسا على ذلك، فتسعى هذه الدراسة أن تسلط الضوء على معرفة مقومات الأتباع والأعوان في كلام الإمام علي، وتميط اللثام عن الطرق والحلول التي لجأ إليها الإمام من أجل ترسيخها في أذهان أبناء مجتمعه آنذاك.

من ثم، تروم هذه الدراسة الإجابة عن سؤالين محوريين، هما: ما مقومات معرفة الأتباع والأنصار في كلام الإمام علي (عليه السلام)؟ وما الطرق والحلول التي لجأ إليها الإمام علي، من أجل غرس هذه المقومات في أذهان أبناء مجتمعه؟

من أجل الإجابة عن السؤال الأول، سعينا إلى توظيف المنهج الببليوغرافي، واستخراج البيانات المتعلقة بالدراسة، وتحليلها على أساس تحليل المضمون[1]، حتى نقوم بتحديد مقومات معرفة الأنصار والأعوان، عن طريق استجلاء المضامين الخفية في هذه البيانات المتاحة.

نظرا إلى أن هذه الدراسة تندرج في ضمن الدراسات المرتبطة بمجال دراسة النصوص، وأن أفعال الإمام علي (عليه السلام)، وممارساته متناثرة في المصادر والكتب المتنوعة، فمن الضروري أن نقوم قبل كل شيء بتحديد المصادر المطلوبة. من ثم، قمنا بتحديد المصادر التي كان قد سجل فيها الاهتمام بالأتباع والأعوان حضورا بارزا. ففي نهاية المطاف، اخترنا أربعة كتب تتمثل في: وقعة صفين، والغارات، والجمل، ونهج البلاغة.

وأما بالنسبة إلى السؤال الثاني، فتناولنا من خلال المنهج الوصفي-التحليلي، جميع البيانات التي كانت تلعب دورا مهما في تكوين المقومات الخمسة، حتى نكشف الستار عن الطرق والحلول التي لجأ إليها الإمام، لترسيخ هذه المقومات في أذهان الناس.

1. Thematic Analysis

١-١. منهج البحث

تتبع هذه الدراسة منهج تحليل المضمون، الذي يعتبر منهجا قويما لمعرفة ودراسة وتحليل الأنماط المتوافرة في البيانات الكيفية. فيكون هذا المنهج أداة لتحليل البيانات النصية، ويبدّل البيانات المتناثرة والمتنوعة إلى البيانات الثرية والتفصيلية (شيخ زادة وآخرون، ١٣٩٠هـ.ش، ص ١٥٣).

يقوم تحليل المضمون -في أبسط حالته- بتنظيم مجموعة من البيانات ووصفها بتفاصيل كبيرة، ويفسّر الجوانب المختلفة من الموضوع المدروس. فعموما، فإن تحليل المضمون يكون منهجا لرؤية النص، وفهم المعلومات التي تبدو غير ذات صلة واستيعابها، وتحليل المعلومات النوعية، ومشاهدة الشخص والتفاعل والفريق والموقف والمنظمة والثقافة بشكل ممنهج، وتحويل البيانات النوعية إلى البيانات الكمية (خنيفر ومسلمي، ١٣٩٦هـ.ش، ج١، ص ٥٣).

إن مضمون في هذا المنهج في أغلب الأحيان، بمثابة نمط، يوضح نقطة مثيرة للاهتمام حول موضوع الدراسة، ويتم التعرف عليه عن طريق الحس العام (شيخ زادة وآخرون، ١٣٩٠هـ.ش، ص ١٥٩). في عبارة أدق، أن المضمون أو الثيمة[1]، سمةٌ متكررة ومميزة في النص، مما يظهِر معلومات مهمة حول البيانات وفهما خاصا فيما يتعلق بأسئلة الدراسة، ونمطٌ يوجد في مجموعة من البيانات، ويقوم بوصف وتنظيم المشاهدات وتفسير جوانب من ظاهرة ما (خنيفر ومسلمي، ١٣٩٦هـ.ش، ج١، ص ٥٤).

فيستفاد من ذلك، أن معرفة المضمون تعد من أهم المهام في الدراسات النوعية وأكثرها حساسية، وأن الحس العام، وقيم الباحث، وتوجهات الدراسة، وأسئلتها، وتجربة الباحث حول الموضوع المدروس، كلها تؤثر في كيفية معرفة المضامين. ولكن من أجل معرفة المضمون، يجب أن نأخذ في الاعتبار بعض نقاط، فيما يلي:

النقطة الأولى، أن معرفة المضمون لا تكون إطلاقا بمعنى العثور على نقطة مثيرة للاهتمام في البيانات، بل يكون من الضروري أن يحدد الباحث هدفه المنشود من دراسة البيانات

1. Theme

المتاحة، وتحليلها وتفسيرها. في الحقيقة، أن المضمون المحدد يسهم إسهاما فعالا في تحليل البيانات النهائي.

النقطة الثانية، أن لفظة المضمون بشكل ضمني، تفيد التكرار. من ثم، فإن المسألة التي قد وردت مرة واحدة فقط في البيانات، لا يمكن أن نعتبرها مضمونا، إلا أن تحتل مكانا مرموقا في تحليل البيانات النهائي. بشكل كلي، أن التكرار يكون بمعنى الظهور في مطلبين أو أكثر في النص المراد.

النقطة الثالثة، أن المضامين يجب أن تتميز بعضها عن البعض. مع أن الخلط والتداخل بين المضامين المختلفة أمر لا مفر منه، إلا أنه إذا لم تكن حدود محددة بوضوح بينها، لا يمكن أن نقدّم فهما صحيحا من التحاليل والتفاسير (خنيفر ومسلمي، ١٣٩٦هـ.ش، ج ١، ص ٦١؛ شيخ زادة وآخرون، ١٣٩٠هـ.ش، ص ١٦١).

بشكل عام، أن الباحثين والدارسين قد استفادوا من أربعة مناهج في تحليل المضمون (شيخ زادة وآخرون، ١٣٩٠هـ.ش، ص ١٦٥-١٧٠)، ومن أهمها هو منهج الشبكة المضمونية[1]، والذي قد تم توظيفه في دراستنا هذه.

من اللافت، أن أتريد سترلينغ[2]، قام بتطوير هذا المنهج، بحيث إن ما يقدم إلينا يكون خريطةً، تشبه مواقع الويب وتكون بمثابة مبدأ منظِّم وطريق العرض. فإن الشبكة المضمونية على أساس عملية معينة، تنظّم المضامين الأساسية (الرموز والكودات والنقاط الرئيسة للنص)، والمضامين المنظِّمة (المضامين الحاصلة من تركيب المضامين وتلخيصها)، والمضامين الشاملة (المضامين العالية الشاملة على المبادئ والأسس السائدة في النص بمثابة الكل). بعد ذلك، ترسم هذه المضامين على شكل خرائط مواقع الويب، ويتم عرض المضامين البارزة لكل من هذه المستويات الثلاثة، إلى جانب العلاقات فيما بينها. فالنقطة التي لا بد من الالتفات إليها هي أن الشبكة المضمونية أداة لتفسير النص، بحيث تستكشف النتائج الحاصلة من ذلك النص للباحث والقارئ (شيخ زادة وآخرون، ١٣٩٠هـ.ش، ص ١٧٠).

1. Thematic network
2. Attrid-Stirling

مهما يكن من شيء، فنسعى أن نقوم بتطبيق مراحل هذا المنهج واحدة تلو أخرى، لاستكشاف الشبكة المضمونية لمقومات الأتباع والأنصار في كلام الإمام علي (عليه السلام).
فمن أجل تنفيذ هذا المنهج، قمنا بجمع أوضح الأخبار المرتبطة بالموضوع المدروس وأبينها. فبعد عملية تحليل المضمون، حاولنا الوصول إلى المفاهيم ذات الدرجات المختلفة. فالمراد بالمفاهيم ذات الدرجات المختلفة، هي أن بعض المفاهيم ذات الأهمية القصوى تحتل المكانة المركزية، ثم يتم تنظيم سائر المفاهيم الأخرى حولها، مما يؤدي إلى التوصل إلى وصف ثري من مجموع البيانات، واستجلاء الشبكة المضمونية للأتباع والأعوان في المصادر المختارة. تسعى هذه الدراسة أن تحدد المضامين عن طريق المنهج الاستقرائي (القائم على البيانات)، مما يرتبط ارتباطا وثيقا بالبيانات نفسها (بدن، ١٩٩٠م، ص ٨٥)، وكذلك يتم التحليل على أساس هذه البيانات. زد على ذلك، أن المضامين على مستوى الشهود، تتحدد وفقا للمعاني الظاهرية للبيانات، بحيث لا نتجاوز النص عند التحليل (شيخ زادة وآخرون، ١٣٩٠هـ.ش، ص ١٧٤-١٧٥).

١-٢. مصطلحات البحث

من أبرز مصطلحات البحث، ما يلي:
ـ **المقوم:** فالمراد بالمقومات هي العناصر المكونة من شيء أو مفهوم، تؤدي إلى معرفة ذلك الشيء أو المفهوم، وتوفر أرضية مناسبة لتجزئته وتحليله.
ـ **الصديق والنصير:** فالمراد بالأنصار والأصدقاء هم الذين يدعمون الإنسان في تحمل المشاق وترويض الصعاب، ويدفعون كل الأثمان في هذا السبيل.

٢. المضامين المرتبطة بالأتباع والأنصار في كلام الإمام علي (عليه السلام)

٢ـ١. استخراج المضامين الأساسية من النص

في منهج تحليل المضمون، حاولنا استخراج المضامين الأساسية من المصادر الأربعة، وتنظيمها على شكل رموز أو كودات معينة. فكل من الأخبار ذات الصلة بالأتباع

والأنصار، تحمل مضمونا، يدعى المضمون الأساسي. في هذا القسم من المقالة، قد اخترنا لكل مضمون أساسي، أوضح الأخبار وأبينها، وأوردناها تحت عنوان «العبارة» في جدول رقم ١.

٢ـ٢. استخراج المضامين المنظِّمة من المضامين الأساسية

بعد الحصول على المضامين الأساسية، حان الدور إلى المضامين المنظِّمة، ثم المضامين الشاملة. في هذه المرحلة من تحليل المضمون، سعينا كل السعي إلى الحصول على المضامين التجريدية عن طريق تنظيم المضامين الأساسية وتركيبها وتلخيصها جنبا إلى جنب (أتريد سترلينغ، ٢٠٠١م، ص ٣٨٨)، حتى يمكن الوصول إلى المضامين المهمة والشاملة.

جدول رقم ١: المضامين الأساسية والمنظمة وفقا للمصادر المختارة

المضمون الشامل [الصديق والنصير]			
الرقم	العبارات والمصادر	المضمون الأساسي	المضمون المنظِّم
	«أَنْتُمْ أَشَدُّ الْعَرَبِ وُدّاً لِلنَّبِيِّ» (الجمل، ص ٢٦٦؛ الغارات، ج ١، ص ٤٣؛ الغارات، ج ٢، ص ٥٨٩؛ الغارات، ج ١، ص ٤٣)	حب الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله)، وأهل بيته الطاهرين (عليهم السلام)	قبول ولاية الإمام
	«وَارُواقَتْلاَنَافِي ثِيَابِهِمُ الَّتِي قُتِلُوا فِيهَا فَإِنَّهُمْ يُحْشَرُونَ عَلَى الشَّهَادَةِ وَإِنِّي لَشَاهِدٌ لَهُمْ بِالْوَفَاءِ» (الجمل، ص ٣٩٤؛ وقعة صفين، ص ٢٢٤؛ الغارات، ج ١، ص ٣٥٨؛ نهج البلاغة، الرسالة ٣٤)	الولاء والوفاء بالعهد	

	«قَدْ كُنْتَ مِنْ أَوْثَقِ النَّاسِ فِي نَفْسِي» (وقعة صفين، ص ٦؛ الغارات، ج ١، ص ٧٣؛ وقعة صفين، ص ٢٢٤؛ نهج البلاغة، الخطبة ١١٨؛ نهج البلاغة، الرسالة ٤٢)	الأمانة والثقة	قبول ولاية الإمام
	«وَثِقُوا بِالْقَائِدِ فَاتَّبَعُوه» (نهج البلاغة، الخطبة ١٨٣؛ وقعة صفين، ص ١٦٠؛ الغارات، ج ١، ص ٣٤٩؛ نهج البلاغة، الرسالة ٢؛ نهج البلاغة، الرسالة ٣٨؛ نهج البلاغة، الرسالة ٣٤؛ نهج البلاغة، الحكمة ٤٣)	طاعة الإمام	
	«أَنْتُمُ الْأَنْصَارُ عَلَى الْحَقِّ وَالْإِخْوَانُ فِي الدِّينِ وَالْجُنَنُ يَوْمَ الْبَأْسِ وَالْبِطَانَةُ» (نهج البلاغة، الخطبة ١١٨؛ وقعة صفين، ص ٦؛ وقعة صفين، ص١٦٠؛ الغارات، ج ٢، ص ٦٢٤؛ نهج البلاغة، الخطبة ١٧١)	دعم الإمام ومساندته	
	«أَيْنَ الْقَوْمُ الَّذِينَ دُعُوا إِلَى الْإِسْلَامِ فَقَبِلُوهُ وَقَرَءُوا الْقُرْآنَ» (نهج البلاغة، الخطبة ١٢١؛ وقعة صفين، ص ٢٥٦؛ نهج البلاغة، الخطبة ١٨٢؛ نهج البلاغة، الخطبة ١٢١)	الاهتمام بالعبادة	الالتزام بالدين

	«أَيْنَ الْقَوْمُ الَّذِينَ دُعُوا إِلَى الْإِسْلَامِ فَقَبِلُوهُ وَقَرَءُوا الْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ» (نهج البلاغة، الخطبة ١٢١؛ نهج البلاغة، الخطبة ١٨٢؛ نهج البلاغة، الخطبة ٢٢٨؛ نهج البلاغة، الرسالة ٤٦)	الاهتمام بالتعاليم الدينية	الالتزام بالدين
	«فَاسْتَعِنْ بِاللهِ عَلَى مَا أَهَمَّكَ» (نهج البلاغة، الرسالة ٤٦؛ نهج البلاغة، الخطبة ١٣٠؛ نهج البلاغة، الخطبة ١٣٠؛ نهج البلاغة، الرسالة ٣٢؛ نهج البلاغة، الرسالة ٣٤؛ نهج البلاغة، الرسالة ٣٨؛ نهج البلاغة، الحكمة ٤٣؛ نهج البلاغة، الحكمة ١٧٤)	الاهتمام بالله	
	«أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ عَبْداً مِنْ عِبَادِ اللهِ» (نهج البلاغة، الرسالة ٣٨؛ الغارات، ج ١، ص ٢٦٠ ـ ٢٦١؛ نهج البلاغة، الخطبة ٢٢٨؛ الغارات، ج ١، ص ٣١٩؛ وقعة صفين، ص ١٠٦)	عبودية الله	
	«أَدَّى إِلَى اللهِ طَاعَتَهُ وَاتَّقَاهُ بِحَقِّهِ» (نهج البلاغة، الخطبة ٢٢٨؛ الغارات، ج ١، ص ٤٣؛ الغارات، ج ١، ص ٣٥٨؛ الغارات، ج ١، ص ٣٥١؛ نهج البلاغة، الخطبة ١٣٠)	الإيمان والتقوى	

	«وَقَدْ قَطَعْتَ مِنْهُمُ الْوَلَايَةَ وَأَظْهَرْتَ مِنْهُمُ ا لْبَرَاءَةَ كَمَا قُلْتَ إِنَّكَ لَفِي رِضْوَانِ الله» (الجمل، ص ٢٧٠؛ الغارات، ج ٢، ص ٥٨٩؛ نهج البلاغة، الرسالة ٣٢)	النفور من العدو	امتلاك القوة في مواجهة العدو
	«طَائِفَةٌ عَضُّوا عَلَى أَسْيَافِهِمْ فَضَارَبُوا» (نهج البلاغة، الخطبة ٢١٨؛ الغارات، ج ١، ص ٢٦٠ـ٢٦١؛ نهج البلاغة، الخطبة ١٢١؛ نهج البلاغة، الخطبة ١٨٣؛ نهج البلاغة، الرسالة ٢؛ نهج البلاغة، الرسالة ٣٤؛ نهج البلاغة، الرسالة ٤٦)	مواجهة العدو	
	«وَمُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ رَحِمَهُ الله قَدِ اسْتُشْهِدَ فَعِنْدَ الله نَحْتَسِبُه» (نهج البلاغة، الرسالة ٣٥؛ الجمل، ص ٣٩٤؛ نهج البلاغة، الخطبة ١٨٢؛ نهج البلاغة، الخطبة ٢١٨)	الشهادة والتضحية بالنفس في سبيل الدين	
	«فَإِنَّهُ مِمَّنْ لَا يُخَافُ وَهْنُهُ» (نهج البلاغة، الرسالة ١٣؛ الغارات، ج ١، ص ٢٦٠ـ٢٦١؛ نهج البلاغة، الرسالة ٦١؛ نهج البلاغة، الرسالة ٣٥؛ نهج البلاغة، الخطبة ٢٧)	عدم التواني	
	«أَمَّا بَعْدُ فَابْعَثْ رَجُلاً مِنْ قِبَلِكَ صَلِيباً شُجَاعاً مَعْرُوفاً» (الغارات، ج ١، ص ٣٤٩؛ الغارات، ج ١، ص ٢٦٠ـ٢٦١؛ نهج البلاغة، الرسالة ٣٨؛ نهج البلاغة، الخطبة ١٢١؛ نهج البلاغة، الخطبة ١٧١)	الشجاعة	

	«ذُو رَأْيٍ أَصِيلٍ وَصَبْرٍ جَمِيلٍ» (الغارات، ج ١، ص ٢٦١؛ وقعة صفين، ص ١٥٤؛ الغارات، ج ٢، ص ٦٢٤؛ نهج البلاغة، الرسالة ٣٢)	التزود بالوعي والفكر	امتلاك القوة في مواجهة العدو
	«وَنَزَعْتُ يَدَكَ بِلَا ذَمٍّ لَكَ وَلَا تَثْرِيبٍ عَلَيْكَ فَلَقَدْ أَحْسَنْتَ الْوِلَايَةَ وَأَدَّيْتَ الْأَمَانَةَ فَأَقْبِلْ غَيْرَ ظَنِينٍ وَلَا مَلُومٍ وَلَا مُتَّهَمٍ وَلَا مَأْثُومٍ» (نهج البلاغة، الرسالة ٤٢؛ الغارات، ج ١، ص ٣٥٤ ـ ٣٥٥؛ نهج البلاغة، الخطبة ٢٢٨؛ نهج البلاغة، الحكمة ٤٤٣)	الضمير الحي وتنفيذ المهام	
	«وَخَيْرُ النَّاسِ فِيَّ حَالاً النَّمَطُ الْأَوْسَطُ فَالْزَمُوه» (نهج البلاغة، الخطبة ١٢٧؛ وقعة صفين، ص ١٥٤؛ نهج البلاغة، الرسالة ١٣؛ نهج البلاغة، الرسالة ٤٦)	التوسط والاعتدال	حسن السلوك
	«تُجَامِعَ الْحَقَّ وَتُبَايِنَ الْبَاطِلَ» (وقعة صفين، ص ١٠٥؛ نهج البلاغة، الرسالة ٤٦؛ وقعة صفين، ص ١٠٦؛ وقعة صفين، ص ٢٥٦؛ نهج البلاغة، الخطبة ١١٨)	المطالبة بالحق والعدل	
	«وَأَنْتَ مِنْ آمَنِ النَّاسِ عِنْدِي وَأَنْصَحِهِمْ لِي وَأَوْثَقِهِمْ فِي نَفْسِي» (الغارات، ج ١، ص ٧٣؛ الغارات، ج ١، ص ٣١٩؛ نهج البلاغة، الرسالة ٣٤؛ نهج البلاغة، الرسالة ٣٥؛ نهج البلاغة، الرسالة ٣٨)	حب الخير للآخرين	

	«وَاخْفِضْ لِلرَّعِيَّةِ جَنَاحَكَ وَابْسُطْ لَهُمْ وَجْهَكَ» (نهج البلاغة، الرسالة ٤٦؛ نهج البلاغة، الخطبة ١٧١؛ نهج البلاغة، الرسالة ٤٦؛ نهج البلاغة، الرسالة ٦١)	دعم الناس	حسن السلوك
	«من أهل البرّ والزّهادة والإخبات في حقّهم وطاعة ربّهم ومناصحة إمامهم» (الغارات، ج ١، ص ٣١٩؛ الغارات، ج ١، ص ٢٦١؛ نهج البلاغة، الخطبة ١٢١؛ نهج البلاغة، الخطبة ١٧١؛ نهج البلاغة، الخطبة ٢٢٨؛ نهج البلاغة، الرسالة ٣٥؛ نهج البلاغة، الرسالة ٤٢؛ نهج البلاغة، الرسالة ٤٦)	الاهتمام بالفضائل الأخلاقية	التحلي بالصفات الحميدة والخصال الحسنة
	«أَقْبِلْ غَيْرَ ظَنِينٍ وَلَا مَلُومٍ وَلَا مُتَّهَمٍ وَلَا مَأْثُومٍ» (نهج البلاغة، الرسالة ٤٢؛ الغارات، ج ١، ص ٢٦١؛ الغارات، ج ١، ص ٣٥١؛ نهج البلاغة، الخطبة ٢٢٨؛ نهج البلاغة، الرسالة ١٣؛ نهج البلاغة، الرسالة ٦٦)	تجنب الصفات الدنيئة	
	«وَلْتَكُنْ سَرِيرَتُكَ كَعَلَانِيَتِكَ» (وقعة صفين، ص ١٠٦؛ الغارات، ج ١، ص ٢٤٧ ـ ٢٤٨؛ وقعة صفين، ص ٢٢٤؛ الغارات، ج ٢، ص ٦٢٤)	الصداقة في القول والعمل	

٣. اكتشاف شبكة المضامين ووصفها

من خلال دراسة وتحليل المضامين ذات الصلة بأخبار السمات والمؤشرات المعرفية للصديق والنصير في الكتب والمصادر المختارة، توصلنا إلى خمسة مضامين منظِّمة، تؤدي بالمآل إلى ظهور المضمون الشامل للصديق والنصير.

٣-١. قبول ولاية الإمام

يمثل قبول ولاية الإمام علي (عليه السلام)، أول مضمون منظِّم لهذه الدراسة، ويعد من أهم تعاليم أهل البيت (عليهم السلام) (الكليني، ١٤٠٧هـ، ج٢، ص١٨. ٢٣). فهذا المضمون المنظم يتكون من المضامين الأساسية التي تكون كلٌّ منها بمثابة جزءا منه. فيما يلي، نشير إلى هذه المضامين الأساسية:

٣-١-١. حبّ الرسول (صلى الله عليه وآله)، وأهل بيته الطاهرين (عليهم السلام)

إن أول المضمون الأساسي الذي يؤدي إلى تشكيل المضمون المنظم، أي قبول ولاية الإمام، يتجسد في حب الرسول (صلى الله عليه وآله)، وأهل بيته الطاهرين (عليهم السلام)، الأمر الذي يجب على كل مسلم، وفقا للآية ٢٣ من سورة الشورى (مظفر، ١٣٨٧هـ.ش، ص٧٢؛ الفخر الرازي، ١٤٢٠هـ، ج ٢٧، ص ٥٩٥).

من أهم المقومات المعرفية الحاصلة من كلام الإمام علي (عليه السلام)، بخصوص الأنصار والأعوان، هو حب الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله)، والإمام (عليه السلام). وخير دليل على ذلك أن الإمام علي، عندما ألقى خطبة غراء في ذي قار قبل وقعة جمل، اعتبر أنصاره «أشد العرب ودّا للنبي» (المفيد، ١٤١٣هـ، ص٢٦٦)، وأنه (عليه السلام)، في موضع آخر يقول: «والله لو ضربت خيشوم المؤمن بسيفي هذا على أن يبغضني ما أبغضني، ولو صببت الدّنيا بحذافيرها على الكافر ما أحبّني؛ وذلك أنّه قضى ما قضى على لسان النّبي الأمّي أنّه لا يبغضك مؤمن ولا يحبّك كافر» (الثقفي، ١٣٩٥هـ، ج١، ص٤٣).

يستفاد من ذلك، أولا أن الإمام يعزز كلامه بقول الرسول (ﷺ)، حتى يحيل ذهن المخاطب إلى مرجع مقبول عند المسلمين كافة؛ وثانيا أن الإمام يربط في أذهان المسلمين، مدى معرفة الإنسان لصديقه وعدوه، بالمفهومين المتعارضين، أي المؤمن والكافر، حتى يصطبغ حبه وبغضه بصبغة دينية.

زد على ذلك، أن أمير المؤمنين (عليه السلام)، يوسع دائرة حبه، حتى يشمل، علاوة على حب الإمام، حب أصداقائه وبغض أعدائه أيضا (المصدر نفسه، ج ٢، ص ٥٨٩). لا شك، أن هذا الحب الذي يكون من سمات المؤمن، لا يتأثر بالربح أو الخسارة في الدنيا، ولا يخدشه ولا يجرحه أي شيء (المصدر نفسه، ج ١، ص ٤٣).

٣-١-٢. الولاء والوفاء بالعهد

إن المضمون الأساسي الثاني هو الولاء والوفاء بالعهد. من الثابت، أن هذه السمة من السمات الأخلاقية والصفات السلوكية التي تحتل مكانة مرموقة في الإسلام، وتعد من خصائص المؤمنين. يقول الله تعالى: «وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ» (سورة المؤمنين ٢٣: ٨). من اللافت للذكر، أن أمير المؤمنين (عليه السلام)، قد أسهب في الحديث عن هذه السمة الرفيعة (التميمي الآمدي، ١٣٦٦هـ.ش، ص ٢٥٢ ـ ٢٥٣).

نقلا على تقرير نصر بن مزاحم المنقري، أن الإمام علي، بعد نشر الدعايات المثيرة للعداء التي لجأ إليه معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص وتحريضهما الناس عليه، توجه نحو الناس، وقام بإلقاء الخطبة بينهم، وأشار إلى مكانته ومكانة أهل الشام، وأثنى على الولاء والوفاء بالعهد، واعتبره من الصفات الحميدة التي يجب على كل مسلم أن يتحلى بها (١٤٠٤هـ، ص ٢٢٤).

لا شك، أن الشيء الذي يساعد الناس العاديين على معرفة هذه الميزة الحميدة للأصدقاء والأنصار، هو أن الإمام (عليه السلام)، قد اعتبر الولاء والوفاء بالعهد من شروط الإسلام للإنسان،

بحيث إن هذه السمة الحميدة على علاقة وطيدة بكون الإنسان مسلما، وإن غيابها ينأى به عن الإسلام وصراطه القويم.

مضافا إلى ذلك، فإن الراوي يقول: جمع الإمام، أصحاب رسول الله عنده، فهم يَلُونه حتى لكأنه كان يُحبّ أن يُعلم الناسّ أن أصحاب الرسول متوافرون عليه، فحمد الله على ذلك (المصدر نفسه، ص ٢٢٣). مع وقفة تأملية عند هذه الرواية، ندرك أن تواجد الصحابة حول الإمام، باعتبارهم مجموعة مرجعية في معرفة الناس للتعاليم الإسلامية والمسائل والقضايا السياسية الراهنة آنذاك، قد أسهم إسهاما فعالا في نقل رسالة الإمام المنشودة إلى أذهان الجمهور.

زيادة على ذلك، فبعد خروج الخريت بن راشد الشامي[١] على الإمام علي (عليه السلام)، كتب الإمام أمانا لأتباعه، ودعاهم إلى الرجوع إلى أهلهم وعدم مساندة هذا المارق الهالك المحارب وخذلانه، وشجعهم على الالتزام بالولاء والوفاء بالعهد وعدم الخيانة (الثقفي، ١٣٩٥هـ، ج ١، ص ٣٥٨).

جدير بالذكر، أن الإمام علي (عليه السلام)، لم يقتصر على تبيين صفة الولاء والوفاء بالعهد وطلبه من الناس فحسب، وإنما تعداه إلى التعريف بالذين كانوا قدوة حسنة للناس في هذا المضمار. فعلى سبيل المثال لا الحصر، أن الإمام بعد إخماد نيران وقعة الجمل، نادى الناس، فقال: «وَارُوا قَتْلَانَا فِي ثِيَابِهِمُ الَّتِي قُتِلُوا فِيهَا فَإِنَّهُمْ يُحْشَرُونَ عَلَى الشَّهَادَةِ وَإِنِّي لَشَاهِدٌ لَهُمْ بِالْوَفَاءِ» (المفيد، ١٤١٣، ص ٣٩٤). يظهر من قول الإمام هذا، أنه، مضافا إلى تقدير مقام الشهداء السامي والإعلاء من شأنهم العظيم، يعتبرهم قدوة حسنة وأسوة رائعة للناس في الوفاء، لدرجة أن الإمام نفسه يشهد لهم بالوفاء والإخلاص.

---

١. «له إدراك، وكان رئيس قومه، شهد مع علي حروبه، ثم فارقه لما وقع التحكيم، ثم أرسل إليه عليّ معقلا الرياحي، أحد بني يربوع، فأوقع بهم» (العسقلاني، ١٤١٥هـ، ج ٢، ص ٣٠٢).

٣-١-٣. الأمانة

تنحدر لفظة الأمين من مادة «أمن»، وتكون بمعنى الموثوق به وحافظ الأمانة (ابن منظور، ١٤١٤هـ، ج ١٣، ص ٢٢). إن سمة الأمانة من السمات الحميدة التي قد تجلت في كلام الإمام علي (عليه السلام)، أيضا. فعلى سبيل المثال لا الحصر، أن الإمام علي حين استنفار قواته لمواجهة جنود الشام، يعدّد خصائص المسلم الحقيقي وسماته، بما في ذلك الأمانة (المنقري، ١٤٠٤، ص ٢٢٤). هنا، يحرص الإمام على تذكير الناس ببيعتهم ووعودهم لنصرته أمام أعدائه وتشجيعهم إياه على قبول دفة الحكم.

يتمثل الجانب المعرفي لكلام الإمام في أنه يعتبر صفة الأمانة بوصفها ميزة من ميزات أتباعه وأعوانه، أمرا ثابتا، حيث يعتمد على هذه الخصلة السامية عندما يتحدث إليهم، ويبني توقعاته منهم على هذا الأساس (الثقفي، ١٣٩٥هـ، ج ١، ص ٧٣؛ المنقري، ١٤٠٤هـ، ص ٦).

٣-١-٤. طاعة الإمام

لقد أوصى الإسلام المسلمين بطاعة زعيم المجتمع الإسلامي. يقول الله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا» (النساء ٤: ٥٩). من اللافت، أن المسلمين كافة قد انصاعوا لهذا الأمر الإلهي، إلا أنهم قد اختلفوا في تحديد مصداق «أولي الأمر». فيعتقد الشيعة بناء على رواياتهم، أنّ المراد من أولي الأمر هم أئمة الشيعة الإثني عشر (العياشي، ١٣٨٠هـ، ج ١، ص ٢٥١)؛ لكنّ أهل السنة قائلون بأنّ المراد من أولي الأمر هو الخلفاء الراشدون (الفخر الرازي، ١٤٢٠هـ، ج ١٠، ص ١١٢ ـ ١١٤).

مهما يكن من شيء، فيعتبر أمير المؤمنين (عليه السلام)، طاعة الإمام من أكبر الفرائض وأهم ميزات أتباعه وأنصاره المتقين. فعلى سبيل المثال، عندما اندلعت نيران وقعة صفين، كتب الإمام علي، رسالة إلى معاوية، مستمدا فيها من قول الشاعر المخضرم، حريث بن

مخفض[١]، للإشارة إلى مدى طاعة أتباعه وأعوانه وانقيادهم لأوامره، يقول:

أَلَمْ تَرَ قَوْمِي إِذْ دَعَاهُمْ أَخُوهُمْ أَجَابُوا وَإِنْ يَغْضَبْ عَلَى الْقَوْمِ يَغْضَبُوا

(المنقري، ١٤٠٤هـ، ص ١٦٠).

في ضوء هذا البيت، يشبه الإمام العلاقة بين الإمام والمأمومين بالعلاقة بين أفراد القوم، مدعيا أن أتباعه وأعوانه يلبون نداء إمامهم لنصرته إذا دعاهم، ويتفقون على توحيد قواهم لمساعدته، ولا يدخرون وسعا في مساندته.

زد على ذلك، أن الإمام، يشير أيضا إلى مسألة الثقة بالإمام، ويعتبرها علة الطاعة، بحيث إذا وثق الناس بإمامهم، أطاعوه وانصاعوا لأوامره. فمثلا، فإن الإمام علي، في إحدى خطبه الأخيرة التي ألقاها من أجل استنفار الناس إلى أهل الشام بعد الفراغ من الخوارج، يثني على الذين لبوا نداء إمامهم واستشهدوا في سبيل طاعته، ويؤكد على لزوم طاعة الإمام في ميدان الحياة (نهج البلاغة، الخطبة ١٨٢).

وأما المسألة الأخرى في خصوص طاعة الإمام، فهي الاهتمام بالنخبة والطبقة العليا التي يقتفي أثرهم الناس، ويسلكون مسلكهم، ويعملون على قدر ما يرون منهم، الأمر الذي قد صار محط اهتمام الإمام علي (عليه السلام) أيضا. من ثم، نلاحظ أن الإمام عندما يعقد عزمه على أن يدعو الناس إلى الجهاد في سبيل الله، يوجه أذهان الناس إلى النخبة الذين استقاموا في سبيل طاعة الإمام وضحوا بأنفسهم وأرواحهم فيه (المصدر نفسه، الخطبة ١٨٢)، ويعتبر ذهابَهم مصدر فرقة الناس وبدء نقصهم (الثقفي، ١٣٩٥هـ، ج ٢، ص ٦٢٤).

وأما النقطة المهمة التي تسوق أذهان الناس وأفكارهم إلى معرفة أتباع الإمام وأعوانه الحقيقيين، هي تقدير الإمام للمطيعين والمنقادين لأوامره وتبجيلهم، حتى تتحول طاعة

١. حريث بن مخفض شاعر مخضرم له أشعار في الجاهلية، وسكن الشام (ابن سلام، ١٤٠٠هـ، ج ١، ص ١٩٢ ـ ١٩٤؛ المبرد، ١٤٢٠هـ، ج ٥، ص ٩٧؛ العسقلاني، ١٤١٥هـ، ج ٢، ص ١٤٦).

الإمام إلى قيمة لا يستهان بها عند الناس من جانب، ومن جانب آخر، يدرك المسلمون أن طاعة الإمام واجب ديني، يقع على عاتقهم. في المقابل، أن أمير المؤمنين ينوه بالمطيعين والمنقادين لأوامره، ويشيد بهم بشكل جماعي أو فردي في مناسبات مختلفة، حتى يتبين مدى مكانتهم المرموقة عند الناس.

وأما بعد إطفاء نيران وقعة الجمل التي انتهت بنصرة الإمام بفضل مساندة أهل الكوفة، فيطلب (عليه السلام)، من الله تعالى أفضل أجور لهم (نهج البلاغة، الرسالة ٢). زد على ذلك، أن الإمام بعد استشهاد جماعة من أتباعه وأعوانه، يثني عليهم بسبب حسن طاعتهم، ويسأل الله أن يرحمهم، ويغفر لهم، ويسكنهم فسيح جناته (المصدر نفسه، الرسالة ٣٤؛ الحكمة ٤٣)، حتى تترسخ هذه الصفة الحميدة في أذهان الجمهور، وتلزم الناس على طاعة إمامهم ومساندته.

٣-١-٥. دعم الإمام ومساندته

يستفاد من كلام الإمام علي (عليه السلام)، أن دعم الإمام ومساندته يكون من أهم ميزات الأتباع والأنصار، ويندرج ضمن قبول ولاية الإمام. لا يفوتنا أن الدعم المقصود عند الإمام هو كل جهد يصب في إطار مساندة الإمام ومناصرته في تذليل المشقات وترويض الصعوبات وتخطي العقبات؛ إذ يكون كل الناس جيدين في أوقات الرخاء والصفاء.

بعد نهاية وقعة الجمل، أن الإمام علي، مضافا إلى أنه يدعو جنودَه أنصارا على الحق وإخوانا في الدين، يثني عليهم، ويقدّر تضحياتهم الغالية، ويشبههم بالدروع الواقية في الشدائد (المصدر نفسه، الخطبة ١١٨).

من اللافت، أن الإمام يشير إلى نقطة مهمة أخرى، تتمثل في أن مساندة الإمام لا تقتصر على زمن حضوره فقط، بل تتعداه إلى زمن غيبته أيضا (المنقري، ١٤٠٤هـ، ص ١٦٠). زد على ذلك، أنه (عليه السلام)، يؤكد على أن الدعم ليس أمرا أحادي الجانب، حتى يكون الناس العاديون

مكلفين بدعم إمامهم ومساندته فقط، بل يكون الإمام أيضا مكلفا بدعم أتباعه ومساندتهم في الظروف العصيبة:

هُمُ حَفِظُوا غَيْبِي كَمَا كُنْتُ حَافِظاً لِقَوْمِيَ أُخْرَى مِثْلَهَا إِذْ تَغَيَّبُوا

(المصدر نفسه).

في كلام أمير المؤمنين، تكمن نقطتان أساسيتان، تسوقان أذهان الناس إلى مرحلة من المعرفة التي تريهم الخصلة التي يمكن أن توفر أرضية خصبة لمساندة الإمام في السراء والضراء، وزمن غيبته وحضوره (نهج البلاغة، الخطبة ١١٨). في الحقيقة، أن هاتين النقطتين اللتين تشملان الإخلاص والابتعاد عن الشك في دعم الإمام وعدم خذلانه، أمران قلبيان. فإذا تحلى مسلم بهما، فسيقدر على دعم إمام عصره.

٣-٢. الالتزام بالدين

إن المضمون المنظم الثاني يتمثل في الالتزام بالدين. فالمراد بالالتزام بالدين هنا، وفقا لرواية مروية من الإمام الصادق (عليه السلام)، هو الإقرار بالتعاليم الدينية، والعمل بما أمر الله به (الكليني، ١٤٠٧هـ، ج ٢، ص ٣٨).

٣-٢-١. الاهتمام بالعبادة

إن المضمون الأساسي الأول في هذا القسم، هو الاهتمام بالدين، الأمر الذي يوعز إليه الإمام علي (عليه السلام)، في التعريف بأنصاره وأعوانه الحقيقيين، ويثني عليه (نهج البلاغة، الخطبة ١٢١). فإن الإمام، بعد أن استسلم للتحكيم بعد وقعة صفين، وتعرض للوم اللائمين وعتاب العاتبين من الكوفيين، ألقى خطبة غراء، وأشار فيها إلى طغيان الناس وعصيانهم وتوانيهم وتكاسلهم، وأشاد بأنصاره الذين بذلوا جهودا جهيدة في سبيل الله واستشهدوا فيه.

مما يسترعي للانتباه، أن الإمام هنا يؤكد على مدى اهتمام الناس بالعبادة، ويعتبر الشهداء في سبيل الله إخوانَه الذين يتعين على الآخرين أن يتأسوا بهم، ويسلكوا مسلكهم، ويذرفوا دموع الحزن على فقدانهم. في الحقيقة التي لا مراء فيها، أن تكريم الشهداء بهذه الصفات من قبل الإمام، محاولة طيبة لرفع مستوى معرفة الناس العاديين وتوعيتهم بالنسبة إلى الذين آخوا بينهم وبين إمام عصرهم، ولم يتخلوا عن دعمه والوقوف إلى جواره، واستشهدوا بالمآل في سبيله.

لا شك، أن غياب مثل هؤلاء الأفراد المخلصين يدفع المجتمع إلى الضعف والخمول. من ثم، يجب على الباقين من الناس أن يتحسروا على فقدانهم، وأن يذهبوا مذهبهم، ويقتدوا بهم. فإن أمير المؤمنين، ضمن تأكيده على توافر هذه الميزة في أتباعه وأعوانه، يدعوهم إلى التحلي بروح الصمود والاستقامة والإخلاص والجد والمثابرة في سبيل الحق وإصلاح وتلافي العيوب والنواقص الموجودة (المنقري، ١٤٠٤هـ، ص ٢٥٦).

٣-٢-٢. الاهتمام بالتعاليم الدينية

يظهر هذا المضمون الأساسي أن الاهتمام بالتعاليم الدينية حصيلة مجموعة من السلوكيات والتصرفات التي تنطوي على المحاولة لفهم واستيعاب المعارف القرآنية، والتفكير في الواجبات الإلهية، وإقامة الأحكام الدينية، وإحياء السنن الإلهية، والقضاء على البدع.

حري بالذكر، أن أمير المؤمنين (عليه السلام)، يؤكد على هذه الميزة في طيات خطبته الحماسية التي ألقاها لحشد الناس للجهاد والقتال ضد الشاميين (نهج البلاغة، الخطبة ١٨٢). فهو في هذه الخطبة وسائر شبيهاتها من الخطب في نهج البلاغة، يطري الشهداء الذين كانوا متزودين بهذه الميزة الرفيعة، ويعلي من شأنهم السامي (المصدر نفسه، الخطبة ١٢١، والخطبة ٢٢٨)، ويكرّمهم، ويعتبرهم قدوة حسنة وأسوة طيبة للجمهور. في الواقع، أن الاقتداء بالآخرين ومحاكاتهم يسهم إسهاما بارزا في الارتقاء بمستوى معرفة الناس العاديين حول

هدف معين. ففي مثل هذه الحالات، أن القدوة تطلق على شخص قد تكللت مساعيه بالنجاح في سبيل وصوله إلى غايته المنشودة، بحيث إن الناس بعد التعرف عليه، يرون أن هذا الهدف يمكن تحقيقه بالنسبة إليهم أيضا.

يظهِر تكريم مثل هؤلاء الأفراد، أن الذين وضعوا أقدامهم في سبيل الله، واستشهدوا فيه، يبجّلهم إمامهم، ويرفع شأنهم، ويعطيهم المجد والمكانة، الأمر الذي يشجع الآخرين على الاقتداء بهم، والسلوك في مسالكهم، حتى يتوصلوا إلى تلك المكانة الرفيعة عند إمامهم.

لا يفوتنا، أن نبرة الإمام الممزوجة بالتحسر توحي للناس بأنه يشعر بفقدان الشهداء بشدة في المجتمع. فعلى الآخرين أن يبلغوا مبلغهم، حتى يقبل الإمام، على إقامة الأحكام الدينية في ساحة المجتمع بعونهم ومساندتهم (المصدر نفسه، الرسالة ٤٦).

٣-٢-٣. الاهتمام بالله

إن المضمون الأساسي الثالث في هذا القسم هو الاهتمام بالله تعالى. فإن أمير المؤمنين (عليه السلام)، ضمن أقواله، يعتبر الاهتمام بالله سبحانه من أهم خصائص أتباعه وأعوانه الحقيقيين. ولكن هذه الميزة لها عدة مصاديق فيما يلي.

فإن المصداق الأول الذي يحرص الإمام على جذب انتباه الناس إليه، هو الغضب لله. فهو في كتاب له إلى أهل مصر، لما ولّى عليهم مالك الأشتر النخعي، يثني عليهم، ويعتبرهم قوما يغضبون لله تعالى (المصدر نفسه، الرسالة ٣٨)، ويستطرد قائلا: إنه قد ولى عليهم مالك لشدة شكيمته على الأعداء، والذي لا ينام أيام الخوف، ولا ينكل عن الأعداء ساعات الروع، ويكون أشد على الفجار من حريق النار (المصدر نفسه).

من الثابت، أن هذه الرسالة تركز على الجانب المعرفي للناس، وتوحي لنا بأن الناس إذا غضبوا لله، فلا يعلي الإمام قدرهم فقط، بل يدعمهم بكل قوة. زد على ذلك، أن الإمام في موضع آخر، يقول: «مَنْ أَحَدَّ سِنَانَ الْغَضَبِ لله قَوِيَ عَلَى قَتْلِ أَشِدَّاءِ الْبَاطِلِ» (المصدر نفسه،

الحكمة ١٧٤)، مؤكدا على أن الغضب لله هو السبب الرئيس لتفوق المؤمنين على أعدائهم والقضاء عليهم، حتى تترسخ هذه القيمة كعامل نجاح في أذهان الناس.

والمصداق الآخر هو الدعوة إلى الله والاستعانة به في القيام بالأمور. يواظب الإمام دوما على الاستنجاد بالله في الأوقات الصعبة والاعتماد عليه في النجاح والسعادة، لدرجة أنه يوصي ولاته بذلك، حتى يستعينوا بالله ويلجأوا إليه في كل شؤون الحياة (المصدر نفسه، الرسالة ٣٤، الرسالة ٤٦).

وأما المصداق الآخر للاهتمام بالله في كلام الإمام، فيختص بالطبقة النخبة التي يلتفون في البداية حول التيار الباطل، إلا أنهم في النهاية يفارقونه، ويلجأون إلى الله بفضل قوة التمييز بين الحق والباطل. فإن الإمام علي (عليه السلام)، في رسالته إلى معاوية بن أبي سفيان، يشير إلى هذه الجماعة (المصدر نفسه، الرسالة ٣٢)، ويستفيد من عبارة «هربوا إلى الله»، دلالة على انصرافهم عن الباطل إلى الحق ورجوعهم عن الخطأ إلى الصواب. يستفاد من هذه الرسالة، أن الإنسان إذا التفّ يوما حول الباطل قصورا أو تقصيرا أو سهوا، فسيكون الرجوع إلى الله واللجوء إليه هو الحل الوحيد للخروج من ذلك المستنقع.

٣-٢-٤. عبودية الله

إن أول موضوع قد وقع في بؤرة اهتمام الإمام في هذا الميدان، هو توظيف لفظة «عبد الله» في رسائله من أجل التعريف بنفسه (المنقري، ١٤٠٤هـ، ص ١٠٤-١١٠)، حتى يترسخ في أذهان الناس أن الخليفة وسائر الناس العاديين مخلوقون ومتساوون أمام الله بلا أدنى فرق بين أحدهم والآخر. فإن تساوي الناس أمام الله، إلى جانب تطهير جوارحهم من أمور الدنيا ومتعلقاتها، والمحاولة لإصلاح الشؤون الدينية والدنيوية للمجتمع (نهج البلاغة، الخطبة ١٣١)، كلها ترسم صورة من الحكومة الإلهية، تدل على كون الناس كافة عبيد الله، يسيرون متكاتفين ومتساوين أمام الله، نحو بناء حياة روحية ومادية مقبولة عنده.

فإن أمير المؤمنين (عليه السلام)، بعد جهوده الحثيثة لتثبيت مكانته عند الناس، يقبل على إيضاح الموضوع الثاني للناس، ألا وهو أن أساس التفاضل أمام الله بالتقوى والعمل الصالح، فيقول: «فَإِنَّ خَيْرَ النَّاسِ عِنْدَ الله عَزَّ وَجَلَّ أَقْوَمُهُمْ لله بِالطَّاعَةِ فِيمَا لَهُ وَعَلَيْهِ وَأَقْوَلُهُمْ بِالْحَقِّ، وَلَوْ كَانَ مُرّاً» (المنقري، ١٤٠٤هـ، ص ١٠٦)، ويثني على المثابرين في هذا الطريق (نهج البلاغة، الخطبة ٢٢٨). ولكن لا يتجلى هذا الموضوع بشكل بارز، إلا في موضع، يدعو الإمام، المسلمين إلى مساعدته أمام أعدائه (الثقفي، ١٣٩٥هـ، ج ١، ص ٣١٩)، ويتوقع من المؤمنين أن يثابروا في طريق طاعة إمامهم الذي يبدل قصارى جهوده لإصلاح دين الناس ودنياهم. بعبارة أخرى، أن الإمام، عن طريق هذه العبارات، يسعى إلى نقل رسالة مهمة إلى الناس، ألا وهي أن عبودية الله عامل أساسي، يؤدي إلى نصرة الإمام وعدم خذلانه

٣-٢-٥. الإيمان والتقوى

إن هذا المضمون من الميزات والسمات التي يرى الإمام علي (عليه السلام)، أن أنصاره وأعوانه متسلحون بها، لدرجة أنه يقول نقلا عن الرسول الخاتم (صلى الله عليه وآله): «[يا علي]، لاَ يُبْغِضُكَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يُحِبُّكَ كَافِرٌ» (الثقفي، ١٣٩٥هـ، ج ١، ص ٤٣).

فمن أجل تقوية هذا المفهوم في أذهان الناس، كان يشجع الإمام، أنصاره وأعوانه على التمسك بهذه السمة الرفيعة. فعلى سبيل المثال لا الحصر، أن الإمام بهدف إخماد ثورة الخريت بن راشد، كتب أمانا له ولمتبعيه، ودعاهم إلى اللجوء إلى الإيمان ومراعاة التقوى، لدرجة أنه قال:

> من رجع منكم إلى رحله، وكفّ يده، واعتزل هذا المارق الهالك المحارب الّذي حارب الله ورسوله والمسلمين، وسعى في الأرض فسادا، فله الأمان على ماله ودمه، ومن تابعه على حربنا والخروج من طاعتنا، استعنّا بالله عليه، وجعلنا الله بيننا وبينه، وكفى بالله وليّا (المصدر نفسه، ج ١، ص ٣٥٨).

٣-٣. امتلاك القوة في مواجهة العدو

أما المضمون المنظِّم الثالث، فهو امتلاك القوة في مواجهة العدو. من منظور الإمام علي (عليه السلام)، أن المؤمنين عليهم أن يتحلوا ببعض الميزات والصفات التي تؤدي بالمآل إلى استطاعتهم وقوتهم أمام العدو. في الحقيقة، أن هذه الصفات هي الأجزاء المتلاحمة التي تكوّن هذا المضمون المنظم.

٣-٣-١. النفور من العدو

إن النفور من العدو، أول مضمون أساسي لهذا القسم، قد أورده الإمام علي (عليه السلام)، كميزة من ميزات أنصاره. تحتظي هذه الميزة بأهمية ذات قصوى، لدرجة أن الإمام يعتبرها عامل إنقاذ الإنسان من الهلاك (المصدر نفسه، ج٢، ص ٥٨٩).

ولكن يعتقد الإمام أن حالة النفور من العدو لا تحصل إلا على أساس النية الصائبة ونصرة الدين. في هذا السياق، يمكن أن نشير إلى حديث أبي زينب الأزدي[١] مع الإمام علي:

قَامَ أَبُو زَيْنَبَ الْأَزْدِيُّ، فَقَالَ: «وَاللهِ، إِنْ كُنَّا عَلَى الْحَقِّ إِنَّكَ لَأَهْدَانَا سَبِيلًا، وَأَعْظَمُنَا فِي الْخَيْرِ نَصِيباً، وَإِنْ كُنَّا عَلَى الضَّلَالِ وَالْعِيَاذُ بِاللهِ أَنْ نَكُونَ عَلَيْهِ، فَإِنَّكَ أَعْظَمُنَا وِزْراً وَأَثْقَلُنَا ظَهْراً، وَقَدْ أَرْدَنَا الْمَسِيرَ إِلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ، وَقَطَعْنَا مِنْهُمُ الْوَلَايَةَ، وَأَظْهَرْنَا مِنْهُمُ الْبَرَاءَةَ، وَظَاهَرْنَاهُمْ بِالْعَدَاوَةِ، نُرِيدُ بِذَلِكَ مَا يَعْلَمُهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِنَّا نَنْشُدُكَ اللهَ الَّذِي عَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَعَدُوُّنَا عَلَى الضَّلَالِ. فَقَالَ (عليه السلام): أَشْهَدُ لَئِنْ خَرَجْتَ لِدِينِكَ نَاصِراً صَحِيحَ النِّيةِ وَقَدْ قَطَعْتَ مِنْهُمُ الْوَلَايَةَ، وَأَظْهَرْتَ مِنْهُمُ الْبَرَاءَةَ، كَمَا قُلْتَ إِنَّكَ لَفِي رِضْوَانِ اللهِ، فَأَبْشِرْ يَا أَبَا زَيْنَبَ، فَإِنَّك، وَاللهِ، عَلَى الْحَقِّ، فَلَا تَشُكَّ، فَإِنَّكَ إِنَّمَا تُقَاتِلُ الْأَحْزَابَ. فَأَنْشَأَ أَبُو زَيْنَبَ يَقُولُ:

---

١. كان أبو زينب الأزدي من الكوفيين المحتجين على ولاة عثمان بن عفان، ومن أنصار الإمام علي بعد تولي الخلافة (ابن سعد، ١٤١٠هـ، ج ٥، ص ٢٤؛ الطبري، ١٣٨٧هـ، ج ٤، ص ٤٠٣).

سِيروا إِلَى الْأَحْزَابِ أَعْدَاءِ النَّبِيِ
فَإِنَّ خَيْرَ النَّاسِ أَتْبَاعُ عَلِيٍ

(المفيد، ١٤١٣هـ، ص ٢٧٠).

عموما، فإن النفور من العدو يحظى بأهمية فائقة عند الإمام علي. فهو يعتبر التزود بالمعرفة عاملا أساسيا، يؤدي إلى إبعاد الناس عن العدو وإجهاض جهودهم الخبيثة (نهج البلاغة، الرسالة ٣٢).

٣-٣-٢. مواجهة العدو

إن المضمون الأساسي الثاني في هذا القسم، هو مواجهة العدو. لقد أولى الإمام (عليه السلام)، اهتماما بالغا لمسألة مواجهة العدو، وشدّ انتباه الطبقة العليا والطبقة الدنيا معا إلى أهمية هذه المسألة المهمة. فمثلا، فإن الإمام في رسالة موجهة إلى بعض عمّاله، يقول: «إِنَّكَ مِمَّنْ أَسْتَظْهِرُ بِهِ عَلَى إِقَامَةِ الدِّينِ، وَأَقْمَعُ بِهِ نَخْوَةَ الْأَثِيمِ، وَأَسُدُّ بِهِ لَهَاةَ الثَّغْرِ الْمَخُوفِ» (المصدر نفسه، الرسالة ٤٦).

يلفت الإمام انتباه الناس إلى وجود هذه الميزة في أتباعه المقربين، ويثني على استقامتهم وصمودهم ومثابرتهم في مواجهة العدو (الثقفي، ١٣٩٥هـ، ج ١، ص ٢٦٠ ـ ٢٦١؛ نهج البلاغة، الخطبة ٦٨، والرسالة ٣٤). ففي حالات مختلفة، نشهد أن الإمام من أجل غرس هذه الصفة في أذهان الناس وتشجيعهم على تقويتها في أنفسهم، يعتبر الشهداء قدوة حسنة وأسوة طيبة لهم في هذا الميدان. فبما أن الشهداء كانوا يحتظون بمكانة رفيعة عند المسلمين، فكانت محاكاتهم ذات فعالية كبيرة.

زد على ذلك، أن الإمام يصب اهتمامه أيضا على بعض قيم الشهداء وفضائلهم الروحية المكتسبة، حتى يستنتج المخاطب أن الرغبة في مواجهة العدو تنبجس من ينبوع التدين (نهج البلاغة، الخطبة ١٢١)، كما يسمّيهم إخوانهم الدينيين لإظهار مدى مكانتهم الرفيعة

عندهم (المصدر نفسه، الخطبة ١٨٢)، ويشير إلى أجور حصل عليها الشهداء جراء مواجهة العدو واستشهادهم في ساحة الوغى (المصدر نفسه، الخطبة ٢١٨).

٣-٣-٣. الشهادة والتضحية بالنفس في سبيل الدين

إن هذا المضمون الأساسي يحكي عن مدى ثمن يدفعه كل شخص في نصرة الإمام علي (عليه السلام). يعتقد أمير المؤمنين، أن الشهداء قدوة حسنة للناس في مواجهة العدو، ويعتبرهم إخوتهم الدينيين، ويعدد خصالهم الحميدة للناس، ويتحدث عن مدى تضحياتهم وإنجازاتهم الروحية، حتى يشجع الآخرين على الجهاد في سبيل الله (المصدر نفسه، الخطبة ١٨٢؛ الخطبة ٢١٨).

كان يعمل الإمام منذ بواكير خلافته، على ترسيخ صفات الشهداء الخاصة في أذهان الناس. فمثلا، بعد إخماد نيران وقعة الجمل، نشهد أن الإمام ينادي الناس، يقول: «وَارُوا قَتْلَانَا فِي ثِيَابِهِمُ الَّتِي قُتِلُوا فِيهَا، فَإِنَّهُمْ يُحْشَرُونَ عَلَى الشَّهَادَةِ، وَإِنِّي لَشَاهِدٌ لَهُمْ بِالْوَفَاءِ» (المفيد، ١٤١٣هـ، ص ٣٩٤)، الأمر الذي يدل كل دلالة على نقطتين مهمتين: هما سعادة الشهداء الروحية، وثناء الإمام عليهم وإعلاء شأنهم بسبب وفائهم بالعهود وشهادتهم في سبيل الله.

٣-٣-٤. عدم التواني

إن هذا المضمون في عداد الميزات والخصائص التي قد صرح بها الإمام (عليه السلام)، في شأن أتباعه وأعوانه، لدرجة أن الذي لا يتوانى ولا يتباطأ ولو لحظة واحدة في مواجهة العدو، يثني عليه الإمام، ويعلي قدره؛ وفي المقابل، أن الذي يتوانى ويتهاون في مجابهة العدو، يوجه الإمام سهام لومه إليه.

فعلى سبيل المثال، أن الإمام يمدح مالك الأشتر النخعي في حالات عديدة، بسبب عدم تهاونه وتكاسله أمام العدو، بحيث إن هذه الميزة الإيجابية أدى إلى تعيينه قائدا وعاملا للإمام (الثقفي، ١٣٩٥هـ، ج ١، ص ٢٦٠ ـ ٢٦١؛ نهج البلاغة، الرسالة ١٣)، أو أنه (عليه السلام)، يثني على أنصاره من البصريين، الذين لم يتهاونوا أمام اقتحام الناكثين للبصرة، واستشهدوا في هذا السبيل (نهج البلاغة، الخطبة ٢١٨).

زد على ذلك، أن الإمام لا يقبل التهاون ولا التقصير في أي حال من الأحوال، بحيث يوجه سهام لومه إلى الذين يتهاونون في مواجهة كل من يسعى إلى الفوضى والمساس بأمنهم واستقرارهم. فمثلا، بعد أن اطلع كميل بن زياد، عامل الإمام على هيت من نواحي الأنبار، أن جنود معاوية بقيادة سفيان بن عوف يريدون الهجوم على هيت، توجه بمن معه إلى قرقيسيا لمواجهة القوم، وذلك ظنا منه أنهم هناك، واستخلف ٥٠ من قواته للدفاع عن المدينة، دون أن يخبر الإمام، فاستغل جيش معاوية ذلك، وهجموا على هيت (البلاذري، ١٤١٧هـ، ج ٢، ص ٢٣٠ ـ ٢٣١)، الأمر الذي أغضب الإمام علي (عليه السلام)، عليه، وأثار ثائره، وجعله يستنكر عليه هذه التصرفات، فكتب إليه ينكر ذلك عليه (نهج البلاغة، الرسالة ٦١).

وكذلك، في مشهد آخر، نلاحظ أن الإمام يعتلي المنبر، ويصوّب سهام نقده اللاذع إلى الكوفيين، بسبب تهاونهم في مواجهة العدو، يقول: «أَلَا، وَإِنِّي قَدْ دَعَوْتُكُمْ إِلَى قِتَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَيْلًا وَنَهَاراً وَسِرّاً وَإِعْلَاناً، وَقُلْتُ لَكُمُ اغْزُوهُمْ، قَبْلَ أَنْ يَغْزُوكُمْ. فَوَاللهِ، مَا غُزِيَ قَوْمٌ قَطُّ فِي عُقْرِ دَارِهِمْ إِلَّا ذَلُّوا، فَتَوَاكَلْتُمْ، وَتَخَاذَلْتُمْ، حَتَّى شُنَّتْ عَلَيْكُمُ الْغَارَاتُ، وَمُلِكَتْ عَلَيْكُمُ الْأَوْطَانُ» (المصدر نفسه، الخطبة ٢٧). لحسن الحظ، أن صراحة لهجة الإمام تركت تأثيرا بالغا في أهل الكوفة، بحيث ذكّرتهم بعهودهم الماضية، ودفعتهم إلى إيقاظ ضمائرهم النائمة، لدرجة أن بعضهم، ومن بينهم حجر بن عدي الكندي وسعيد بن قيس الهمذاني، اعتذروا عما بدر منهم وبايعوه من جديد وتجهزوا للمسير إلى عدوهم (الثقفي، ١٣٩٥هـ، ج ٢، ص ٤٨١ ـ ٤٨٢).

٣-٣-٥. الشجاعة

يهتم الإمام علي (عليه السلام)، بإيضاح هذه الميزة لأتباعه وأعوانه من جانبين. فالجانب الأول يرتبط بعماله وقادته، بحيث إن الإمام يعتبر هذه الميزة من العوامل الرئيسة لاختيارهم وتعيينهم لتولي المناصب الرفيعة في جسد الخلافة. فمثلا، يثني الإمام على مالك الأشتر النخعي بسبب تحلّيه بالشجاعة والرزانة (المصدر نفسه، ج١، ص٢٦٠-٢٦١).

وأما الجانب الثاني، فيختص بعامة الناس، بحيث إن الإمام يحرص على توعية أذهانهم في خصوص مخاطر العدو وتهديداته المتواصلة، وتعزيز معنوياتهم ضده، وإيقاظ شعورهم بالشجاعة في مواجهته وردعه. فمثلا، في بداية احتدام نيران وقعة صفين، نراه يلقي خطابة حماسية، ويطرح فيها سؤالا استفزازيا، نصه: «أَيْنَ الْمَانِعُ لِلذِّمَارِ وَالْغَائِرُ عِنْدَ نُزُولِ الْحَقَائِقِ مِنْ أَهْلِ الْحِفَاظِ؟» (نهج البلاغة، الخطابة ١٧١)، باحثا عن الشجعان والأبطال، للاستنجاد بهم في مواجهة العدو اللدود.

زيادة على ذلك، فإن الإمام يلجأ إلى طريق آخر لتقوية هذه الميزة في نفوس الناس، ألا وهو تكريم الشهداء والثناء عليهم بسبب شجاعتهم وبأسهم في ساحات القتال (المصدر نفسه، الخطبة ١٢١)، حتى يتأسى بهم الناس، ويقوموا بتقوية هذا الشعور في أنفسهم، ويساندوا الإمام في اللحظات العصيبة.

٣-٣-٦. التزود بالوعي والفكر

إن التزود بالوعي والفكر هو الميزة الأساسية الأخرى التي يحرص الإمام علي (عليه السلام)، على توافرها في قادته وعمّاله، حتى يرغب الناس في طاعتهم والانقياد لأوامرهم. فمثلا، على عقب أول صراع نشب بين الشاميين والعراقيين، كتب القادة إلى الإمام لتعيين الوظيفة وكسب التكليف. فأرسل الإمام مالك الأشتر النخعي برفقة رسالة إليهم، وأثنى فيها على مالك وتزوده بالحزم والحصافة (المنقري، ١٤٠٤هـ، ص١٥٤). في الحقيقة، أن الإمام اعتبر هذه

الميزة هي السبب الرئيس في اختيار مالك، وبالتالي ضرورة طاعته والانصياع لأوامره، حتى تبرز هذه الميزة في أذهان جنوده.

زد على ذلك، أن الإمام في كتاب له إلى أهل مصر، لما ولّى عليهم مالك الأشتر النخعي، يصفه بأنه ذو رأي أصيل وصبر جميل، فيأمرهم بأن يسمعوا له ويطيعوا أمره (الثقفي، ١٣٩٥هـ، ج ١، ص ٢٦١).

من أجل ترسيخ أهمية هذه الميزة في أفكار وأذهان الناس، نشهد أن الإمام يحرص على ترقية مستوى معرفة الناس في خصوص فوائدها وإيضاح جوانبها لهم. فيعتبر الإمام وجود الأفراد الواعين والحازمين في ساحة المجتمع هو عامل توحيد صفوف أفراده، بحيث إن غيابهم على مستوى المجتمع سيؤدي إلى تفشي التواني والتكاسل بين أفراده وتجرؤِ العدو على العدوان؛ ومرجع ذلك أن هذه السمة من سمات الأفراد الصادقين والعادلين الذين يتسابقون في مساندة إمام عصرهم، ويلبون دعوته (المصدر نفسه، ج ٢، ص ٦٢٤).

٣-٣-٧. الضمير الحي وتنفيذ المهام

وأما المضمون الأساسي الأخير في هذا القسم، فهو الضمير الحي وتنفيذ المهام (أو الرغبة في إنجاز مهمة بإتقان والوفاء بالالتزامات مع الآخرين)، الأمر الذي يشيد به الإمام علي (عليه السلام)، في أقواله، ويثني على أتباعه المتسمين بهذه الميزة، ويعلي قدرهم، حتى يعلم الجمهور أن هذه الميزة هي العامل الرئيس لرفعة شأنهم عند إمام عصرهم.

فعلى سبيل المثال، أن معقل بن قيس بعد أن كتب إلى الإمام علي، معلنا انتصاره على الخريت بن راشد، بعث الإمام رسالة إليه، وأثنى على بلائه الحسن في ساحة الوغى وقضائه ما عليه من المهام (المصدر نفسه، ج ١، ص ٣٥٤ ـ ٣٥٥). لا شك، أن الإمام عن طريق هذه الرسالة، علاوة على تعزيز معنويات معقل وجنوده في مواصلة الجهاد في سبيل الله، حاول الثناء عليه وإعلاء شأنه بسبب رغبته في نفيذ المهام ومتابعتها.

مضافا إلى ذلك، فإن الإمام علي، عندما كان يعزل بعض عماله الناجحين، ويعطيهم المهام الجديدة، كان يثني عليهم بسبب تأديتهم الأمانة وتنفيذ المهام والأعمال الموكلة إليهم (نهج البلاغة، الرسالة ٤٢)، حتى تتقوى معنوياتهم للقيام بالأمور الأخرى في المستقبل.

٣-٤. حسن السلوك

وأما المضمون المنظِّم الرابع، فهو حسن السلوك، الذي يتشكل من أربعة مضامين أساسية، تكون كل منها بمثابة جزءا من هذا المضمون المنظِّم. فيما يأتي، سنتطرق إلى هذه المضامين الأساسية الأربعة.

٣-٤-١. التوسط والاعتدال

لا يزال يوصي الإسلام في تعاليمه الفردية والاجتماعية، بالتوسط والاعتدال: « وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا» (الإسراء ١٧: ٢٩)، و: «قُلِ ادْعُوا اللهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمنَ أَيًّا ما تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذلِكَ سَبِيلًا» (الإسراء ١٧: ١١٠)، بحيث إن الله تعالى يجعل الأمة الإسلامية أمة وسطا: «وَكَذلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً» (البقرة ٢: ١٤٣). في هذا السياق نفسه، أن الإمام علي (عليه السلام)، يدعو الناس إلى التوسط والاعتدال (نهج البلاغة، الخطبة ١٦)، ويقول: «خَيْرُ النَّاسِ فِيَّ حَالاً النَّمَطُ الْأَوْسَطُ فَالْزَمُوهُ» (المصدر نفسه، الخطبة ١٢٧).

لا يفوتنا أن الإمام ما كان يكتفي بالتوصية بالتوسط والاعتدال في إطار الوصايا الأخلاقية فحسب، بل كان يشجع عماله على مراعاته ويأمرهم به أيضا. فمثلا، نشهد أن الإمام في رسالته إلى بعض عماله، ينهاه عن الإفراط والتفريط في جملة الأحوال والأمور، ويعلّمه مبادئ التوسط وأسسه، طالبا منه أن يخلط الشدة بضغث من اللين ويرفق حين يكون الرفق

أرفق، ويعتزم بالشدة حين لا تغني عنه إلا الشدة (المصدر نفسه، الرسالة ٤٦)، حتى يدرك الناس أن الأساس في سلوك العامل هو الاعتدال بين الشدة والرفق، واللجوء إلى الشدة حين لا مناص منها.

٣-٤-٢. المطالبة بالحق والعدل

كان يثني الإمام علي (عليه السلام)، على أتباعه؛ إذ كان يعتبرهم أنصارا على الحق (المصدر نفسه، الخطبة ١١٨)، كما كان يلجأ إلى هذه الميزة لتشجيعهم على تحمل صعوبات الحرب بصلابة (المنقري، ١٤٠٤هـ، ص ٢٥٦). زد على ذلك، أن الإمام كان يدعو الناس على الدوام إلى المطالبة بالحق، وحتى كان يكتب الرسالة إلى الذين ما كان يرجو مساعدتهم (المصدر نفسه، ١٤٠٤، ص ١٠٦).

في خصوص المطالبة بالحق، كان الإمام يولي اهتماما بالغا لسلوكيات عمّاله وتصرفاتهم. فمثلا، في رسالة إلى بعضهم (نهج البلاغة، الرسالة ٤٦)، نشهد أنه يشير إلى نقطتين مهمتين: الأولى أن العمال عليهم أن ينظروا إلى الناس العاديين نظرة متساوية دون تمييز، حتى يؤدي بالمآل إلى إيجاد العدالة والقسط في السلوكيات الفردية للعامل؛ والثانية أن ثمرة هذا العمل توفر أرضية خصبة لتجنب الظلم والجور واتساع رقعة العدالة والقسط؛ ذلك لأن الجميع عقب هذا السلوك الأخلاقي، يدركون أن الطبقة الحاكمة لا ينبغي أن تتجاوز حقها، وأن الطبقة المحكومة لا ينبغي أن تيأس من تحقيق حقوقهم الأساسية.

٣-٤-٣. حب الخير للآخرين

لا يساورنا شك، أن هذا المضمون في كلام الإمام علي (عليه السلام)، قبل كل شيء، يدل على كيفية تعيين العمال. فعلى سبيل المثال، أن الإمام في كتاب له إلى أهل مصر، عندما ولّى

عليهم مالك الأشتر النخعي، يشير إلى اتّصافه بهذه الميزة الفريدة، كسبب تعيينه عاملا عليهم، يقول: «وقَدْ آثَرْتُكُمْ بِهِ عَلَى نَفْسِي لِنَصِيحَتِهِ لَكُمْ وَشِدَّةِ شَكِيمَتِهِ عَلَى عَدُوِّكُمْ» (المصدر نفسه، الرسالة ٣٨).

مما يدعم قولنا هذا، أن الإمام في تكريم ولاته من الشهداء وتبجيلهم، يبدي أسفه الشديد لفقدانهم، منوها بامتلاكهم لهذه الميزة المتميزة (المصدر نفسه، الرسالة ٣٤، الرسالة ٣٥).

لا شك، أن هذه الرسائل الحكومية تنقل نقطة مثيرة للاهتمام إلى ذهن المخاطب، ألا وهي أن تعيين الولاة والعمال يقتصر على الإمام، ولا غير؛ إذ كان يعلم الإمام جيدا أن العمال والولاة بمثابة أذرعه التنفيذية، من ثم كان يحرص على اختيار عمّاله من أشد الناس فعالية من أجل متابعة أهدافه الحكومية المنشودة، فكان يعتبر حب الخير للآخرين من أفضل شروطهم.

٣-٤-٤. دعم الناس

في فترة خلافة الإمام علي (عليه السلام)، أن دعم الناس ومساندتهم كان من إحدى وظائف العمال والولاة. فيقول الإمام مثلا في كتاب له إلى بعض عماله: «وَاخْفِضْ لِلرَّعِيَّةِ جَنَاحَكَ وَابْسُطْ لَهُمْ وَجْهَكَ وَأَلِنْ لَهُمْ جَانِبَكَ» (المصدر نفسه، الرسالة ٤٦).

كان يحرص الإمام علي (عليه السلام)، على دعم الناس ومساعدتهم والتفريج عنهم، بحيث عندما كان يرى قصورا من جانب أحد عماله في هذا المجال، كان يوبّخه. فمثلا، بعد أن أخفق كميل بن زياد في دعم الناس أمام غارة معاوية بن أبي سفيان، فاستباح جنوده المدينة سلبا ونهبا، بعث الإمام رسالة إليه، وصوّب سهام لومه إليه (المصدر نفسه، الرسالة ٦١).

زد على ذلك، أن الإمام كان يؤكد على هذه الميزة في استنفار الناس للجهاد في سبيل الله، فكان يدعو المسلمين إلى دعم الآخرين كقيمة إنسانية وأخلاقية (المصدر نفسه، الرسالة ١٧١)، لدرجة أن عناية الإمام الفائقة بمسألة دعم الناس في بداية وقعة صفين، خلفت أثرا مهما في ترسيخ هذه الميزة كقيمة حيوية في أذهان الجمهور.

٣-٥. التحلي بالصفات الحميدة والخصال الحسنة

وأما المضمون المنظِّم الأخير، فيتجلى في التحلي بالصفات الحميدة والخصال الحسنة، ما يكون حاصل تركيب المضامين الأساسية المستخرجة من النصوص المختارة وتلخيصها.

٣-٥-١. الاهتمام بالفضائل الأخلاقية

إن المضمون الأساسي الأول الحاصل في هذا القسم، هو الاهتمام بالفضائل الأخلاقية من قبل أتباع الإمام وأنصاره. من خلال إلقاء الضوء على أقوال الإمام علي (عليه السلام)، ندرك أن الإمام بهدف غرس هذه القيمة الإنسانية في نفوس أبناء المجتمع، كان يثني على بعض عماله المتحلين بالفضائل الأخلاقية والصفات الحميدة (الثقفي، ١٣٩٥هـ، ج١، ص٢٦١، نهج البلاغة، الرسالة ٤٢).

فعلاوة على العمال والولاة، فنشهد أن الإمام كان يثني أيضا على عناية الشهداء والكبار الماضين بالتحلي بالفضائل الأخلاقية والصفات النبيلة. فعلى سبيل المثال، أنه (عليه السلام)، كان يشير دوما إلى تواضع الشهداء وخشوعهم (نهج البلاغة، الخطبة ١٢١)، وقناعة خباب بن الأرت، ورضاه عن الله، وجهاده في سبيل الله (المصدر نفسه، الحكمة ٤٣)، وعفة سلمان الفارسي ونقاوته وقلة عيبه (المصدر نفسه، الخطبة ٢٢٨).

٣-٥-٢. تجنب الصفات الدنيئة

في الحقيقة، أن هذا المضمون بمنزلة تكملة للموضوع السابق؛ بمعنى أن النصير الحقيقي، من منظور الإمام علي (عليه السلام)، هو الذي يلحّ على التحلي بالفضائل الأخلاقية والصفات الحميدة، وفي الوقت نفسه، يتجنب الصفات الدنيئة والأفعال الرديئة.

بشكل عام، فيتمحور كلام الإمام علي، في هذا المضمون، حول محورين رئيسين: الأول هو الجمع بين الاهتمام بالفضائل الأخلاقية وتجنب الصفات الدنيئة في وصف أتباعه وأعوانه

(الثقفي، ١٣٩٥هـ، ج ١، ص ٢٦١؛ نهج البلاغة، الرسالة ٤٢)؛ والثاني هو تجنب الصفات الدنيئة والخصائص غير المحمودة. فمثلا، نشهد أن معقل بن قيس، قبل الخروج، يأتي عليا (عليه السلام)، يودّعه، فيقول له الإمام: «يا معقل، اتّق الله ما استطعت، فإنّها وصيّة الله للمؤمنين، لا تبغ على أهل القبلة، ولا تظلم أهل الذمّة، ولا تتكبّر، فإنّ الله لا يحبّ المتكبّرين» (الثقفي، ١٣٩٥هـ، ج ١، ص ٣٥١). زد على ذلك، أن الإمام في رسالة إلى عبد الله بن العباس، يحذره من بلوغ اللذة وشفاء الغيظ (نهج البلاغة، الرسالة ٦٦).

٣-٥-٣. الصداقة في القول والعمل

إن المضمون الأساسي الأخير في هذا القسم هو الصداقة في القول والعمل، الأمر الذي كان يحرص الإمام (عليه السلام)، على غرسه في نفوس الناس. فعلى سبيل المثال لا الحصر، أنه (عليه السلام)، في كتاب له إلى أهل مصر (الثقفي، ١٣٩٥هـ، ج ١، ص ٢٤٧ـ٢٤٨)، أو في حينٍ يعد غياب الحكماء والحصفاء الصادقين من أسباب الفشل أمام العدو، يصف فضائل الحكماء الشهداء ويثني عليهم (المصدر نفسه، ج ٢، ص ٦٢٤).

يفهم من كلام الإمام علي في هذا المجال، نقطتان مهمتان: الأولى أن صداقة أعوان الإمام وأنصاره في أقوالهم وأفعالهم، تلعب دورا بارزا في بناء مجتمع سليم؛ والثانية أن المجتمع إذا فقد الصادقين من أهل النهى والحجا، فسيواجه مشاكل عديدة أمام العدو، وحتى يمكن أن يهيمن العدو على هذا المجتمع، ويصل إلى السلطة والقوة. من ثم، نرى أن الإمام كان يعمل دوما على غرس الصداقة في أعوانه قولا وفعلا.

الخاتمة

نظرا إلى أهمية معرفة الصديق أو النصير في مواجهة العدو، فقامت هذه المقالة بتسليط الضوء على كلام الإمام علي (عليه السلام)، في هذا المضمار، ثم جمعت البيانات المطلوبة من

المصادر المختارة التي كانت تتمحور حول هذا الموضوع، ثم حاولت من خلال منهج تحليل المضمون، أن تقوم بتركيب البيانات وتلخيصها، حتى تتوصل في النهاية إلى المضامين السامية في خصوص سمات الأنصار والأعوان في كلام الإمام.

إذن، فقمنا في بادئ الأمر، باستخراج الأخبار المنقولة والروايات المروية المرتبطة بالأنصار والأعوان من النصوص المختارة، ثم لجأنا إلى تحليلها ودراستها، حتى حصلنا في النهاية على ٢٤ مضمونا أساسيا في هذا الميدان. وأما في المرحلة الثانية، فقمنا بتنظيم المضامين الأساسية وتركيبها وتلخيصها، حتى حصلنا بالمآل على خمسة مضامين تجريدية، تدعى المضامين المنظِّمة، التي تبني مضمونا شاملا موسوما بالصديق أو النصير.

من خلال تحليل الشبكة المضمونية الموجودة في النصوص المختارة، توصلنا إلى نمط، يستكشف المنطق العام والفكر السائد في كلام الإمام (عليه السلام)، في خصوص سمات الأنصار والأعوان وخصائصهم، ما يتمثل في خمسة مضامين منظِّمة فيما يلي:

١ـ قبول ولاية الإمام: يفيد هذا المضمون أن أول ميزة الأنصار الحقيقيين للإمام، في مواجهة العدو، تتبلور في قبول الولاية. من اللافت، أن هذه الميزة تتميز بمؤشرات، تتمثل في: حب الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله)، وأهل بيته الطاهرين (عليهم السلام)، والولاء والوفاء بالعهد، والأمانة والثقة، وطاعة الإمام، ودعم الإمام ومساندته.

٢ـ الالتزام بالدين: إن المضمون المنظم الثاني، بحسب كلام الإمام علي، هو الالتزام بالدين. فهو ينطوي على الاهتمام بالعبادة، والاهتمام بالتعاليم الدينية، وعبودية الله، والإيمان والتقوى.

٣ـ امتلاك القوة في مواجهة العدو: من وجهة نظر الإمام علي، أن الشخص لا يمتلك القوة أمام العدو، إلا أن يتحلى بهذه السمات والخصائص: النفور من العدو، ومواجهة العدو، والشهادة والتضحية بالنفس في سبيل الدين، وعدم التواني، والشجاعة، والتزود بالوعي والفكر، والضمير الحي وتنفيذ المهام.

٤ـ حسن السلوك: يبتني هذا المضمون المنظم على هذه المضامين الأساسية: التوسط والاعتدال، والمطالبة بالحق والعدل، وحب الخير للآخرين، ودعم الناس.

٥ـ التحلي بالصفات الحميدة والخصال الحسنة: وأما المضمون المنظم الأخير، فيتجسد في التحلي بالصفات الحميدة والخصال الحسنة. بحسب كلام الإمام علي (عليه السلام)، فإن هذا المضمون، لا يتحقق إلا عن طريق الاهتمام بالفضائل الأخلاقية، وتجنب الصفات الدنيئة، والصداقة في القول والعمل.

وتبين أيضا، أن الإمام، كان يحرص على غرس هذه المقومات المعرفية في أذهان الناس، حتى يساعدهم في ارتقائهم المعرفي بالنسبة إلى أصدقائهم وأنصارهم الحقيقيين، كما أنه (عليه السلام)، لجأ إلى الطرق والحلول المتنوعة، بغية ترسيخ هذه المقومات في أذهان الناس والارتقاء بفهمهم بالنسبة إليها، فهي تتمثل في: إرجاع الأذهان إلى مرجع مقبول، والاهتمام بالنخبة بوصفهم مجموعة مرجعية، والالتفات إلى المفاهيم القيمية الإسلامية والمفاهيم المضادة للقيم الإسلامية، والترحيب بالأفراد المتزودين بالصفات الحميدة وتبجيلهم، والاقتداء بالشهداء والتأسي بهم، وتبيين الميزات الحسنة والخصائص الطيبة ضمن الأوامر والتوصيات الحكومية.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

نهج البلاغة. (١٤١٤هـ). تحقيق صبحي صالح. قم: هجرت.

أ. العربية

ابن سعد، محمد بن سعد. (١٤١٠هـ). الطبقات الكبرى. تحقيق محمد عبد القادر عطا. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن سلام الجمحي، أبو عبد الله محمد بن سلام. (١٤٠٠هـ). طبقات فحول الشعراء. تحقيق أبو فهد محمود محمد شاكر. جدة: دار المدني.

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم. (١٤١٤هـ). لسان العرب. بيروت: دار الفكر.

البلاذري، أبو الحسن أحمد بن يحيى. (١٤١٧هـ). أنساب الأشراف. تحقيق سهيل زكار ورياض الزركلي. بيروت: دار الفكر.

التميمي الآمدي، عبد الواحد بن محمد. (١٣٦٦هـ.ش). تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم. تحقيق مصطفى درايتي. قم: دفتر تبليغات.

الثقفي، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد. (١٣٩٥هـ). الغارات. تحقيق جلال الدين الحسيني الأرموي. طهران: انجمن آثار ملي.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير. (١٣٨٧هـ). تاريخ الأمم والملوك. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. بيروت: دار التراث.

العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي. (١٤١٥هـ). الإصابة في تمييز الصحابة. تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض. بيروت: دار الكتب العلمية.

العياشي، محمد بن مسعود. (١٣٨٠هـ). تفسير العياشي. تحقيق سيد هاشم رسولي محلاتي. طهران: المطبعة العلمية.

الفخر الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر. (١٤٢٠هـ). التفسير الكبير. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب. (١٤٠٧هـ). الكافي. تحقيق علي أكبر غفاري ومحمد آخوندي. طهران: دار الكتب الإسلامية.

المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد. (١٤٢٠هـ). المتقضب. تحقيق حسن حمد. بيروت: دار الكتب العلمية.

مظفر، محمد رضا. (١٣٨٧هـ.ش). عقائد الإمامية. قم: أنصاريان.

المفيد، أبو عبد الله محمد بن محمد. (١٤١٣هـ). الجمل والنصرة لسيد العترة في حرب البصرة. تحقيق علي ميرشريفي. قم: كنگره شيخ مفيد.

المنقري، نصر بن مزاحم. (١٤٠٤هـ). وقعة صفين. تحقيق عبد السلام محمد هارون. قم: مكتبة آية الله

المرعشي النجفي.

ب. الفارسية

خنیفر، حسین؛ و ناهید مسلمی. (١٣٩٦هـ.ش). اصول و مبانی روش های پژوهش کیفی. تهران: نگاه دانش.

شیخ‌زاده، محمد؛ و دیگران. (١٣٩٠هـ.ش). «تحلیل مضمون و شبکه مضامین: روشی ساده و کارآمد برای تبیین الگوهای موجود در داده‌های کیفی». مجله اندیشه مدیریت راهبردی. س ٥. ش ٢. ص ١٥١ ـ ١٩٨.

ج. الإنجليزية

أترید سترلینغ

Attrid-Stirling, J. (2001). »Thematic Networks: An Analytic Tool for Qualitative Research«. *Qualitative Research*. vol 1. no 3. p 385 - 405.

بدن

Patton, M.Q. (1990). *Qualitative evaluation and research methods*. Thousand Oaks. CA: Sage.

References

A: Scriptures

The Holy Qur'ān.

Nahj al-Balāghah. 1414 AH. Edited by Ṣubḥī al-Ṣāliḥ. Qom: Hijrat.

B: Arabic Sources

Al-ʿAsqalānī, Aḥmad ibn ʿAlī. 1415 AH. *Al-Iṣābah fī Tamyīz al-Ṣaḥābah*. Edited by ʿĀdil Aḥmad ʿAbd al-Mawjūd and ʿAlī Muḥammad Muʿawwaḍ. Beirut: Dār al-Kutub al-ʿIlmīyah.

al-ʿAyyāshī, Muḥammad ibn Masʿūd. 1380 AH. *Tafsīr al-ʿAyyāshī*. Edited by Sayyid Hāshim Rasūlī Maḥallātī. Tehran: al-Maṭbaʿah al-ʿIlmīyah.

Al-Balādhurī, Aḥmad ibn Yaḥyā. 1417 AH. *Ansāb al-Ashraf*. Edited by Suhayl Zakkār and Riyāḍ al-Ziriklī. Beirut: Dār al-Fikr.

Al-Fakhr al-Rāzī, Muḥammad ibn ʿUmar. 1420 AH. *Al-Tafsīr al-Kabīr*. Beirut: Dār Iḥyāʾ al-Turāth al-ʿArabī.

Ibn Manẓūr, Muḥammad ibn Mukarram. 1414 AH. *Lisān al-ʿArab*. Beirut: Dār al-Fikr.

Ibn Saʿd, Muḥammad. 1410 AH. *Al-Ṭabaqāt al-Kubrā*. Edited by Muḥammad ʿAbd al-Qādir ʿAṭāʾ. Beirut: Dār al-Kutub al-ʿIlmīyah.

Ibn Sallām al-Jumaḥī, Muḥammad. 1400 AH. *Ṭabaqāt Fuḥūl al-Shuʿarāʾ*. Edited by Abū Fahd Maḥmūd Muḥammad Shākir. Jeddah: Dār al-Madanī.

Al-Kulaynī, Muḥammad ibn Yaʿqūb. 1407 AH. *Al-Kāfī*. Edited by ʿAlī Akbar Ghaffārī and Muḥammad Ākhūndī. Tehran: Dār al-Kutub al-Islāmīyah.

Al-Minqarī, Naṣr ibn Muzāḥim. 1404 AH. *Waqʿat Ṣiffīn*. Edited by ʿAbd al-Salām Muḥammad Hārūn. Qom: Maktabat Āyat Allāh al-Marʿashī al-Najafī.

Al-Mubarrad, Muḥammad ibn Yazīd. 1420 AH. *Al-Muqtaḍab*. Edited by Ḥasan Ḥamd. Beirut: Dār al-Kutub al-ʿIlmīyah.

A-Mufīd, Muḥammad ibn Muḥammad. 1413 AH. *Al-Jamal wa al-Nuṣrah li-Sayyid al-ʿItrah fī Ḥarb al-Baṣrah*. Edited by ʿAlī Mīr Sharīfī. Qom: Kungirah-i Shaykh al-Mufīd.

Muẓaffar, Muḥammad Riḍā. 1387 Sh. *ʿAqāʾid al-Imāmīyah*. Qom: Anṣārīyān.

Al-Ṭabarī, Muḥammad ibn Jarīr. 1387 AH. *Tārīkh al-ʾUmam wa al-Mulūk*. Edited by Muḥammad Abū al-Faḍl Ibrāhīm. Beirut: Dār al-Turāth.

Al-Tamīmī al-Āmidī, ʿAbd al-Wāḥid ibn Muḥammad. 1366 Sh. *Taṣnīf Ghurar al-Ḥikam wa Durar al-Kalim*. Edited by Muṣṭafā Dirāyatī. Qom: Daftar-i Tablīghāt-i Islāmī.

Al-Thaqafī, Abu Isḥāq Ibrāhīm ibn Muḥammad. 1395 AH. *Al-Ghārāt*. Edited by Jalāl al-Dīn al-Ḥusaynī al-Urmawī. Tehran: Anjuman-i Āthār-i Millī.

C: Persian Source

Khunayfir, Ḥusayn, and Nāhīd Muslimī. 1396 Sh. *Uṣūl va Mabānī-i Rūish-hā-yi Pazhūhish-i Kayfī*. Tehran: Nigāh-i Dānish.

Shaykh-zādah, Muḥammad, et al. 1390 Sh. "Taḥlīl-i Mażmūn va Shabakah-i Mażāmīn: Rūishī Sādah va Kār-Āmand barā-yi Tabyīn-i Ulgūhā-yi Maujūd dar Dādah-hā-yi Kayfī." *Majallah-i Andīshah-i Mudīriyyat-i Rāhburdī* 5, no. 2: 151–98.

D: English Sources

Attride-Stirling, Jennifer. 2001. "Thematic Networks: An Analytic Tool for Qualitative Research." *Qualitative Research* 1, no. 3: 385–405.

Patton, Michael Quinn. 1990. *Qualitative Evaluation and Research Methods*. Thousand Oaks, CA: Sage Publications.